تفسير ابن كثير

يقول تعالى : وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد { كذلك نفصل الآيات } أي التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها { ولتستبين سبيل المجرمين } أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل وقرىء { ولتستبين سبيل المجرمين } أي ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين وقوله { قل إني على بينة من ربي } أي على بصيرة من شريعة ا التي أوحاها ا إلي { وكذبتم به } أي بالحق الذي جاءني من ا { ما عندي ما تستعجلون به } أي من العذاب { إن الحكم إلا } أي إنما يرجع أمر ذلك إلى ا إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له في ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال { يقص الحق وهو خير الفاصلين } أي وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين في الحكم بين عباده وقوله { قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم } أي لو كان مرجع ذلك إلي لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك وا أعلم بالظالمين فإن قيل : فما الجمع بين هذه الاية وبين ما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول ا صلى ا عليه وسلّم : يا رسول ا هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن ا قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال : فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال : يا محمد إن ا قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [بل أرجو أن يخرج ا من أصلابهم من يعبد ا لا يشرك به شيئا] وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليهم عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل ا أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى في هذه الاية الكريمة { قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم وا أعلم بالظالمين } فالجواب وا أعلم أن هذه الاية دلت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم وقوله تعالى : { وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو } قال البخاري : حدثنا عبد العزيز بن عبد

ا حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد ا عن أبيه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا ا] { إن ا عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن ا عليم خبير } وفي حديث عمر : أن جبريل حين تبدى له في صورة أعرابي فسأل عن الإيمان والإسلام والإحسان فقال له النبي صلى ا عليه وسلّم فيما قاله له : [خمس لا يعلمهن إلا ا] ثم قرأ { إن ا عنده علم الساعة } الاية وقوله { ويعلم ما في البر والبحر } أي محيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وما أحسن ما قال الصرصري : .

فلا يفخى عليه الذر إما تراءى للنواظر أو توارى .

وقوله { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى : { يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور } وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان النمري عن ابن عباس في قوله { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } قال : ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب ما يسقط منها رواه ابن أبي حاتم وقوله { ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد ا بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهري حدثنا مالك بن سعير حدثنا الأعمش عن يزيد بن أبي زياد عن عبد ا بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا وعليها ملك موكل يأتي ا بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد ا الحساني عن مالك بن سعير به ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي حذيفة حدثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خلق ا النون وهي الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الاية { وما تسقط من ورقة إلا يعلمها } إلى آخر الاية قال محمد بن إسحاق : عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد ا بن عمرو بن العاص يقول : إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالو أنهم ظهروا يعني لكم لم تروا معهم نورا على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم ا D على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث ا D إليه في كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك